صـــادر :
مرفقات :
التـاريخ : ١٩ / ١ / ٢٠٠٤م

Πατριαρχικη Αποστολη
Αλεξανδρειας
مطرانية مغاغة والعدوة
للأقبـــاط الأرثوذكـــس

رسالة رعـــويـــة ((٣/ ٢٠٠٤م))

بسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد آمين

دروس من معمودية السيد المسيح

مقدمـــة :

الآبـاء الكهنـة المـوقرين , وأعضـاء اللجـان العامـة والفرعيـة الكـرام , والشمامسـة , والخـدام والخادمات , وكل الشعب المحب للمسيح فى كافة كنائس الإيبارشية.

أهنئكم جميعاً يـا أبنـائى من أعماق قلبى , بمناسبة عيد الغطاس المجيد , عيد الظهور الإلهى . راجياً من الله أن يظهر شخصه المبارك لكل نفس , ولضعفى أيضاً .

ولا أنسى أن أبلغكم التهانى بالعيد , والسؤال عنكم , والصلوات لأجلكم ,من فم أبينا وسيدنا صاحب القداسة والغبطة , البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث . أطال الله حياة قداسته , سنيناً كثيرة وأزمنة سلامية , هادئة مديدة .

وأود فى هذه المناسبة السعيدة , أن أكلمكم عن : دروس من معمودية السيد المسيح .

فى الحقيقة عيد الغطاس , ما هو إلا إحياء لذكرى معمودية السيد المسيح له المجد .

ومن هذه المعمودية نتعلم دروس كثيرة ومن بينها :

١ ــ كشف بعض الجوانب , من شخصية السيد المسيح :

ومن بينها :

أ ــ القـــوة :

وشـهد لـذلك القـوة يوحنـا المعمدان أمـام الكثيـرين مـن الفريسيين والصدوقيين , الـذين أتـوا إلـى معموديتـه قـائلاً لهـم : ((ولكـن الـذى يـأتى بعـدى هـو أقـوى منـى , الـذى لسـت أهـلاً أن أحمـل حذائه)) (متى ٣ : ١١) , (مر ١ : ٧) , (لو ٣ : ١٦) .

فالمسيح قوى, وقوته ذاتية , وغير محدودة فى كل شئ .

ب ــ الإحترام للآخرين , وخاصة للكهنوت :

ولذلك قال الكتاب : ((حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن , ليعتمد منـه . ولكنـه يوحنـا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ,وأنت تأتى إلىّ . فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا , أن نكمل كل بر , حينئذ سمح له)) (مت ٣ : ١٣ ــ ١٥) .

وبكونه أتى وطلب المعمودية من يوحنا , وأعتمد منه , هذا تأكيداً صارخاً لاحترامه للكهنوت الذى أقامه , ولعمله بين الناس أيضاً . وهناك مثال آخر يثبت إحترام المسيح للكهنوت , نجده بعد أن شفى الأبرص قـال لـه : ((اذهـب وأرى نفسك للكـاهن , وقـدم القربـان الـذى أمـر بـه موسـى شـهادة لـه)) (مت ٨ : ٤) , (مر ١ : ٤٤) , (لو ٥ : ١٤) .

وغير ذلك وقت أن ظهر لشاول الطرسوسى , وهو فى طريقة إلى دمشق , وأصابه بالعمى نتيجة إضطهاده للكنيسة, لذلك صرخ شاول قائلاً : ((مـاذا تريد يـا رب أن أفعل ؟ فقال لـه الرب : قم وأدخل المدينة , فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل .....)) (أع ٩ : ٦) .

ثم أرسل إليه حنانيا الرسول قائلاً له : ((قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق , الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلئ من الروح القدس . فللوقت وقع من عينية شئ كأنه قشور , فأبصر فى الحال وقام واعتمد)) (أع ٩ : ١٧ , ١٨) .

وبكونه الرب يرسله لحنانيا , لكى يبشرها بالإيمان ويُعمده , بالرغم من ظهوره له شخصياً , هذا يعنى احترامه للكهنوت ولعمله بين الناس .

++

وبالإضافة إلى ذلك , ومن احترام الرب للكهنوت نجده يقول للرسل فى سفر الأعمال : « افرزوا لى برنابا وشاول , للعمل الذى دعوتهما إليه . فصاموا حينئذ وصلوا , ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما » (أع ١٣ : ٢ , ٣) .

كان من الممكن أن يرسلهما الرب للخدمة . من غير الرسل ولكن هذا وضع غير صحيح , لأنه لابد أن يُساموا أولاً , بيد الآباء الرسل . ثم يُرسلوا وهذا هو الوضع الصحيح . وهناك أمثلة كثيرة فى الكتاب المقدس , تؤكد على احترام المسيح للكهنوت ولعملة بين الناس .

وهذا يعلمنا احترام الكهنوت الذى أقامه السيد المسيح , لأن الكهنوت أساساً هو كهنوت المسيح . لذلك قال : « الذى يسمع منكم يسمع منى , والذى يرذلكم يرذلنى , والذى يرذلنى , يرذل الذى أرسلنى » (لو ١٠ : ١٦) .

جـ - وهناك جانب آخر فى شخصيته , وهو جانب الاتضاع :

بالرغم من أنه هو الرب والخالق ليوحنا المعمدان , نجده يأتى إليه فى إتضاع ويطلب أن يعتمد منه , ولذلك منعه يوحنا قائلاً : « أنا محتاج أن أعتمد منك , وأنت تأتى إلىّ . فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا , أن نكمل كل بر , حينئذ سمح له » (مت ٣ : ١٤ , ١٥) .

والعجيب فى اتضاع مخلصنا أنه لم يعتمد أولاً , بل اعتمد بعد جميع الشعب , كما يذكر القديس لوقا الرسول : « ولما اعتمد جميع الشعب , اعتمد يسوع أيضاً » (لو ٣ : ٢١) .

فمعمودية السيد المسيح كشفت عن اتضاعه , وعن أتضاع يوحنا المعمدان أيضاً . ولم تكن هى المعمودية الفريدة التى أظهرت اتضاع مخلصنا , بل قبوله أيضاً التجسد كأى إنسان منا , وقضائه فترة على الأرض وصلبه , وموته .... كل هذه ألواناً من الأتضاع . وصدق وقت أن قال : « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب , فتجدوا راحة لنفوسكم » (مت ١١ : ٢٩) .

د – وغير ذلك من هذه الجوانب , جانب آداب الحديث مع الآخرين :

ولنلاحظ هذا فى حديثة مع يوحنا المعمدان , وقت أن تراجع عن عماده إتضاعاً منه قال له : « اسمح الآن .... حينئذ سمح له » (مت ٣ : ١٥) . وفى موضع آخر شهد الكتاب , بآداب حديث المسيح مع الآخرين فقال : « لا يخاصم ولا يصيح , ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) .

وقال أيضاً ليهوذا الذى أسلمه : « يا صاحب » (مت ٢٦ : ٥٠) . ولم يقل له يا خائن , بالرغم من استحقاقه .

٢ – وأيضاً معموديته كشفت , إنه هو الذى سيعمد بالروح القدس ونار :

وهذه هى شهادة يوحنا المعمدان للفريسيين والصدوقيين : « أنا عمدتكم بماء .... هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) , (مر ١ : ٨) , (لو ٣ : ١٦) , (يو ١ : ٣٣) .

وقوله يعمدكم بالروح القدس ونار , وهذا يعنى : أنه هو الذى يرسل الروح القدس فى المعمودية , ويأخذ من دمه إلى جوار الماء , ويعطى للمعمد عطايا كثيرة .

وهذا لا يفهم كما يفهم البعض , أن معمودية الروح القدس , هى مجرد تغير حياة الإنسان بواسطة الإيمان أو التوبة . لكن الوضع الصحيح للعماد بالروح القدس ونار , يتم من خلال جرن المعمودية , والكتاب المقدس يثبت ذلك .

٣ – وفوق كل هذا معمودية الرب , أظهرت أنه هو الديان :

ونجد هذا فى قول يوحنا لليهود عنه : « الذى رفشه فى يده , وسينقى بيدره . ويجمع قمحة إلى المخزن , أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ١ : ١٢) , (لو ٣ : ١٧) .

٤ – ولا أنسى أن أقول فى معمودية السيد المسيح , أنها علمتنا وجوب تكملة البر :

وهذا هو قوله ليوحنا المعمدان : « لأنه هكذا يليق بنا , أن نكمل كل بر » (لو ٣ : ١٥) .

فكان من اللازم أن يتعمد السيد المسيح , لتكملة الطرق المؤدية إلى البر وخاصة للذين يتبعونه . وهكذا بعد ذلك اجتاز طرق مؤدية إلى البر , كإعداد العشاء الأخير والصليب , والموت , والقيامة , والصعود , وإرسال الروح القدس .

ومن لزوم تكملة البر قال لنا معلمنا بولس الرسول : « الذى بدأ فيكم عملاً صالحاً , يكمله إلى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) .

فالبدأ فى البر أمر مهم فى الحياة الروحية , والأهم منه الاستمرارية فيه إلى النفس الأخير . ومن هنا قال مخلصنا : « يليق بنا , أن نكمل كل بر » .

++

++

٥ – ومن معموديته أيضاً , تسلمنا أن العماد بالتغطيس لا بالرش :

ولذا قال الكتاب :« فلما اعتمد يسوع , صعد للوقت من الماء »(مت ٣ : ١٦) ,(مر ١ : ١٠) .
ونحن نقول معمودية السيد المسيح بالتغطيس لا بالرش , لأنها جاءت من عبارة : « صعد للوقت من الماء » . وقوله صعد من الماء , تعنى أنه كان غاطساً .
وعبارة صعد من الماء نجدها تتكرر فى معمودية الخصى الحبشى , وقت أن عمده القديس فيلبس الرسول ولذلك يقول الكتاب : « ولما صعدا من الماء , خطف روح الرب فيلبس . فلم يبصره الخصى أيضاً , وذهب فى طريقة فرحاً » (أع ٨ : ٣٩) .

٦ – ومن الدروس المهمة فى معمودية السيد والرب , أنها كشفت لنا عن ذات الله الواحدة , التى تقوم على ثلاثة أقانيم :

ومن هنا وقت معموديته : « السموات قد انفتحت له , فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه . وصوت من السموات قائلاً : « هذا هو أبنى الحبيب , الذى به سررت » (مت ٣ : ١٦ , ١٧) (مر ١ : ١٠ , ١١) , (لو ٣ : ٢٢) .
فالتثليث والتوحيد كان واضحاً فى معمودية السيد المسيح , لأن الروح القدس كان نازلاً عليه مثل حمامة , والسيد المسيح (الابن) فى الماء , والآب ينادى من السماء قائلاً : « هذا هو أبنى الحبيب , الذى به سررت » .

٧ – ومن الزوايا المهمة فى هذه المعمودية , هى إثبات بنوة المسيح للآب :

ولهذه البنوة شهد الآب وقت المعمودية قائلاً : « أنت أبنى الحبيب , الذى به سررت » (مت ٣ : ١٧) , (مر ١ : ١١) , (لو ٣ : ٢٢) . ولهذا شهد أيضاً يوحنا المعمدان أمام اليهود قائلاً : « وأنا قد رأيت وشاهدت , أن هذا هو أبن الله » (يو ١ : ٣٤) .
وقول الكتاب عن المسيح له المجد أنه أبن الله , لا تقلل من شأنه فى الألوهية عن الآب . ولا يفهم منها أنها بنوة من تناسل جسدانى , إنما يفهم منها انه من طبيعة الآب ومن جوهرة . كولادة الكلمة من العقل .

٨ – كما أن معموديته أثبتت بنوته للآب , فهى أيضاً أظهرت لأهوته :

ولذلك نسمى عيد الغطاس بعيد الظهور الإلهى . ولذلك تجدوا يوحنا المعمدان يقول لليهود عن المسيح له المجد : « فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ..... » وقال أيضاً عن نفسه : « وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل , لذلك جئت أعمد بالماء . وشهد يوحنا قائلاً : « أنا قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء , فأستقر عليه . وأنا لم أكن أعرفه , ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى : الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه , فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت , أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٢٦ , ٣١ , ٣٢ , ٣٣ , ٣٤) .
إذاً معمودية السيد المسيح كانت لأزمة , لظهور لاهوته لليهود وليوحنا , ولنا أيضاً .

٩ – وبالتالى أيضاً كما أن المعمودية أظهرت لاهوته , فهى أيضاً أظهرت أزليته :

ومن هنا قال يوحنا المعمدان : « هذا هو الذى يأتى بعدى , الذى صار قدامى .... هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى , رجل صار قدامى لأنه كان قبلى » (يو ١ :٢٧ , ٣٠) .
ومعروف حسب الكتاب أن يوحنا المعمدان , أكبر من المسيح بالجسد بستة شهور , لأنه ولد بعده . وبكون يوحنا يقول عنه : « رجل صار قدامى , لأنه كان قبلى » فهذا يرجع لأزليته .

١٠ – وفى سياق الحديث عن معمودية المسيح له المجد , نقول أنها أظهرت أنه حمل الله الذى يرفع خطايا العالم :

وقال ذلك يوحنا المعمدان لليهود , وقت أن رأى السيد المسيح مقبلاً ليعتمد منه , فصرح قائلاً عنه : « هوذا حمل الله , الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) .

١١ – وفى المعمودية أيضاً المسيح مسح , كاهناً ورئيس كهنة,وملكاً ونبياً :

والكتاب أنبأ بذلك عن هذه المسحة : « وليأتى بالبر الأبدى ,وبختم الرؤية والبنوة , ولمسح قدوس القديسين» (دا ٩ : ٢٤) .

++

✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

أ – تأكيد الكتاب على مسحة كاهناً , ورئيس كهنة :

« أقسم الرب ولم يندم , أنك أنت الكاهن إلى الأبد , على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤) , (عب ٥ : ٥) .

« لاحظوا رسول اعترافنا , ورئيس كهنته المسيح يسوع . حال كونه أمين للذى أقامه , كما كان موسى أيضاً فى كل بيت » (عب ٣ : ١) ,(عب ٢ : ١٧) ,(عب ٤ : ١٤ , ١٥) ,(عب ٥ : ١٠) , (٦ : ٢٠) ,(عب ٧ : ٢٦),(عب ٨ : ١) ,(عب ٩ : ١١), (١بط ٥ : ٤) .

ب – مسحة ملكاً :

يقول معلمنا بولس الرسول بالروح القدس : « أما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور , قضيب استقامة هو قضيب ملكك , أحببت البر وأبغضت الإثم , من أجل ذلك مسحك الله إلهك , بزيت الأبتهاج أكثر من شركائك » (عب ١ : ٨ , ٩) , (أع ٤ : ٢٥ – ٢٨) , (مز ٢ : ١ , ٢ , ٦) , (مز٤٥ : ٦ , ٧) .

جـ - مسحة نبياً :

تنبأ أشعياء النبى عن مسحة نبياً فقال : « روح الرب علىّ , لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين , أرسلنى لأعصر منكسرى القلوب . لأنادى للمسبيين بالعتق , وللمأسورين بالإطلاق , لأنادى بسنة مقبولة » (أش ٦١ : ١ , ٢) . وتحققت هذه النبوءة فى العهد الجديد (لو ٤ : ١٨ , ١٩) .

وأكد على ذلك القديس بطرس الرسول : « يسوع الذى من الناصرة , كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة ؟ الذى جال يصنع خيراً , ويشفى جميع المتسلط عليه إبليس , لأن الله كان معه » (أع ١٠ : ٣٨) .

وبكون المسيح مسح كاهناً ورئيس كهنة , وملكاً ونبياً . هذا لا يتعارض مع الوهيته , لأن كل هذه الأمور وأمثالها من الناحية الناسوتية . أما من الناحية اللأهوتية , فهو الله الظاهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) .

١٢ – وإلى جوار ذلك المسيح بمعموديته , أبطل الختان , لأنه كان الختان , رمزاً للمعمودية :

والختان فى جوهرة , ما هو إلا قطع جزء من الجسم , وبهذا يكون الإنسان عضواً فى شعب الله قديماً , كما قال السيد الرب لإبراهيم .

والمعمودية فى العهد الجديد , هى موت وقيامة مع المسيح له المجد , وعضوية فى جسد المسيح الطاهر الذى هو الكنيسة .

١٣ – أخيراً من الأمور الجوهرية فى معمودية السيد المسيح , هى تأسيس معمودية العهد الجديد .

ولذلك أعطانا نفسه مثالاً وتعمد قبلنا , لكى نقتدى به ونتعمد مثله .

وكل عام وأنتم جميعاً بخير .

تحريراً فى ١٩/ ١ / ٢٠٠٤ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثون

أسقف مغاغه والعدوه

✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠